



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح - ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



القضايا اللغوية عند فاضل السامرائي في كتابه

بلاغة الكلمة في التعبير القرآني

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: دراسات لغوية

التخصص: لسانيات عربية

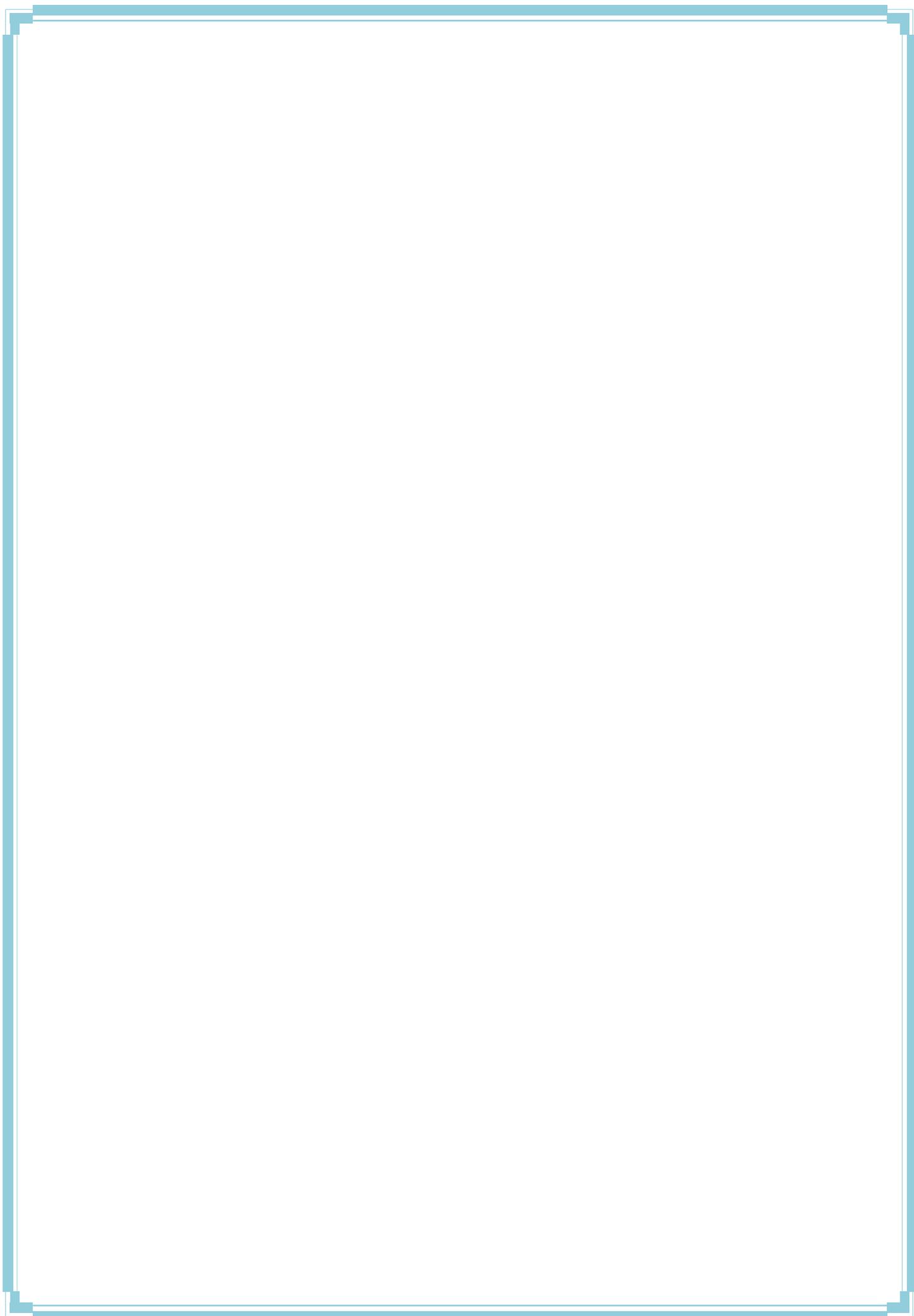
إعداد الطالب(ة): بن ستي سندس

إشراف: محمد الصالح بو عافية

لجنة المناقشة

الجامعة	الصفة	الرتبة العلمية	أعضاء اللجنة
جامعة قاصدي مرباح ورقلة	رئيسا	أستاذ دكتور	محمد محمود بن ساسي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مشرفا ومقررا	أستاذ دكتور	محمد الصالح بو عافية
جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مناقشا	أستاذة دكتورة	فتيحة مولاي

السنة الجامعية: 2022/2023-1443/1444



العنوان

القضايا اللغوية عند فاضل السامرائي في كتابه
بلاغة الكلمة في التعبير القرآني

إعداد الطالب (ة)

بن ستي سندس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتِ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتِ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتِ



*قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا
إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ*

سورة البقرة: الآية 32



شكر و عرفان

أول من يشكر ويحمد أناء الليل وأطراف النهار، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الذي أغرقنا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأغدق علينا برزقه الذي لا ينسى فله جزيل الحمد والثناء العظيم.

والذي أرسل رسوله الكريم هدى ورحمة للعالمين بقرآنه المبين، فعلمنا ما لم نعلم سبحانه علام الغيوب

فله الحمد والشكر كله الذي وفقني وأعانني وألهمني الصبر على تحمل المشاققة التي واجهتها أثناء انجاز هذا البحث.

حينما يكون الجهد مميزا والعطاء فعالا، ترتقي النفوس منار التميز عندما يكون للشكر معنى وللثناء فائدة فليرع الله خطاك وليبارك مسعاك بالأجر والثواب نقدم خالص شكرنا وتقديرنا للأستاذ: بو عافية محمد الصالح

كما أوجه جزيل الشكر والاحترام للجنة الموقرة التي تكرمت بالإطلاع على هذا البحث المتواضع.

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك
ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برويتك.

أهدي ثمرة جهدي إلى شيخي المربي سيدي محمد عبد اللطيف بالقائد، ورائدي لطريق
الحق الذي أنار طريقني.

وإلى بحر الحب والحنان والنبض الساكن في عروق قلبي أُمي الحبيبة وأبي الغالي،
الذي كان لي سندًا في حياتي، إلي نجمة سمائي وبسمة ضحكاتي وسر سعادتي أختي
العزيزة رانيا فاطمة الزهراء شفاها الله.

وإلى كل أحبتي في الله وكل من ساهم في تشجيعي في ميسرتي الدراسية، وإلى
صاحبة مقولة " اللطف والعفو"، وإلى من يذكرني في كل مرة بكلمة " الحمد لله على كل حال.

ملخص المذكرة

جاء هذا البحث مقارنة في قراءة بعض القضايا اللغوية التي عالجها

فاضل صالح السامرائي

في كتابه الموسوم بـ: " بلاغة الكلمة في التعبير القرآني "

التي تبحث في مفردة القرآن الكريم باستخدام آليات التفسير البياني معتمدا في ذلك على السياقات القرآنية والمقامات في تحديد الفروق الدقيقة في استعمال المفردة، من أهم القضايا التي حاولنا تلخيصها (قضية الذكر والحذف قضية الوصف قضية تعاور المفردات).

مستأنسين في ذلك ببعض المصادر والمراجع الأخرى مثل كتب التفسير وكتب التوجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

الكلمات المفتاحية:

فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة، القضايا اللغوية.

Résumé de la thèse:

Cette recherche est venue comme une approche de lecture
De certaines des questions linguistiques traitées par Fadel
Saliha Al-Samarra dans son livre intitulé : "La rhétorique de la
Parole dans l'expression coranique"
Qui étudie la terminologie du Saint Coran en utilisant
Les mécanismes de l'interprétation graphique, en s'appuyant sur
Les contextes coraniques et les dénominateurs pour déterminer
Les différences subtiles dans l'utilisation du terme.
À cet égard, nous connaissons d'autres sources et références,

Telles que des livres d'interprétation et des livres de conseils
Verbaux similaires dans le Coran.

Les mots clés :

Fadel Saleh Al-Samarrai, rhétorique de la parole, enjeux linguistiques.

Thesis summary

This research came as a reading approach
Of some of the linguistic questions dealt with by Fadel
Saliha Al-Samarra in her book titled: "The Rhetoric of
Word in the Koranic expression"
Who studies the terminology of the Holy Quran using
The mechanisms of graphic interpretation, relying on
Quranic contexts and denominators to determine

The subtle differences in the use of the term.
In this regard, we know of other sources and references,
Such as interpretation books and advice books
Similar verbs in the Quran.

Keywords :

Fadel Saleh Al-Samarrai, rhetoric of speech, linguistic issues.

مَقَامَاتُ

مقدمة:

الحمد لله الذي أنار لنا الطريق المستقيم، وأوحى إلينا القرآن العظيم بلسانٍ عربي مبين والمنهج القويم، والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد:

القرآن الكريم هو أعظم المعجزات التي تحدى الله بها العرب البلغاء والفصحاء، فلا يستطيع أحدٌ من خلقه الإتيان بسورة من مثله، ذلك لأنه بلغ مبلغ الإعجاز في تراكيبه، أن للكلمة دوراً كبيراً في القرآن العظيم والتي لها فيضٌ من الأسرار النورانية، لِمَا لها من أهمية وتأثير في رسم الطريق الصحيح الواضح والنافع، كما وصف لنا القرآن حقائق كونية عبّر عنها بأدقّ الكلمات البلاغية والبيانية، والمُعْجِزُ أَنَّ الله تعالى في أول خطابٍ مع الأمة المحمدية بدأ بكلمة (اقرأ).

فكانت هذه الكلمة البوابة التي انفجرت منها علوم كثيرة في شتى المجالات، وخاصةً الدراسات اللغوية التي تبنت عدّة قضايا وظواهر تمسُّ البنية التركيبية في اللغة العربية عامةً وفي القرآن خاصةً، فهذا الأخير هو سبب انبثاق البحوث عند العلماء المسلمين، وذلك للكشف عن أسرارهِ اللغوية وللفهم العميق للتعاليم الدينية التي جاءت فيه. لذلك نجد جل البحوث تتجه نحو البنى التركيبية وما يطرأ عليها، وفي الناحية الأخرى نجد قلة في التوجه إلى البحوث التي تمسُّ المفردة على الرغم من أنها اللبنة الأولى التي ابتدأ بها القرآن، ولهذا جاء من المحدثين من تعمّق في دراسة المفردة وبلاغتها ومنهم فاضل السامرائي، الذي خطّ كتاباً بعنوان "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" والذي بعث فيه لنا اشراقات نورانية بلمساتٍ بيانية قوامها التعبير القرآني.

ومن هنا انتظمت فكرة بحثي الذي عنونته بـ: "القضايا اللغوية عند فاضل السامرائي كتابه بلاغة الكلمة في التعبير القرآني"

وتتجلى إشكالية هذا البحث في ما يلي:

ما هي أهم القضايا اللغوية التي عالجها فاضل السامرائي في كتاب (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني)؟

وتفرّعت عن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية حاولت الإجابة عنها من خلال هذا البحث:

1. ما هي الآليات التي استعملها السامرائي في توجيه الكلمة القرآنية؟

2. هل انفرد السامرائي بلمساتٍ بيانية جديدة، أم أنّه كان تابعاً لمن قبله؟

أمّا عن الأسباب التي جعلتني أصوب نظري حول هذا الموضوع فهي:

مقدمة

✓ محاولة التعرف على منهج فاضل السامرائي في تعامله مع دراساته اللغوية القرآنية.
✓ كيف انبثق من فكر ملحد إلى عالم كبير في تفسير القرآن الكريم والتعمق فيه واستخراج أسرارهِ البيانية والبلاغية التي يعتمد عليها لفهم معاني النصوص القرآنية.
✓ ضرورة الوقوف على أهم القضايا اللغوية التي يغفل عنها الكثير وعالجها فاضل السامرائي.

✓ ميلي إلى الدراسات القرآنية والرغبة في الموازنة بين جهود القدامى والمحدثين.
✓ الرغبة في الكشف عن أسرار توظيف المفردة في القرآن الكريم.

وبطبيعة الحال لكل بحثٍ أهداف مرجوة، وعن بحثي فإني أرنو منه إلى:

■ إبراز أهمية السياق في توجيه الكلمة القرآنية ضمن الدرس البلاغي، من خلال تركيز فاضل صالح السامرائي عليه.

■ إبراز جهود العلماء اللغويين المحدثين في بلاغة القرآن الكريم.

■ الكشف عن جماليات بلاغة القرآن الكريم.

وللإجابة عن هذه الإشكالية والأسئلة الفرعية رسمت خطة بحثي التي جاءت على النحو الآتي:

قسمتها إلى جزئين؛ جزء نظري تناولت فيه تمهيداً و الذي تطرقت فيه إلى (ترجمة لحياة فاضل السامرائي، منهجه في التأليف، التعريف بالمدونة)، وجزء تطبيقي الذي عنوانه (قراءة في بعض القضايا اللغوية في كتاب بلاغة كلمة في التعبير القرآني) حيث بدأت التعريف بالقضايا اللغوية. ومن أهم هذه القضايا التي اخترتها (الذكر والحذف، الوصف، تعاور المفردات، وهذه النقاط الأخيرة التي ترجمتها في مباحث تدرج ضمنها مطالب هي:

المبحث الأول : قضية الذكر والحذف.

المطلب الأول: الذكر والحذف في الحروف.

المطلب الثاني: الذكر والحذف في الضمائر.

المطلب الثالث: الذكر والحذف في الأصوات.

المبحث الثاني: قضية الوصف.

المطلب الأول : وصف الزيتون والرمان.

المطلب الثاني: وصف النخل.

المبحث الثالث: قضية تعاور والمفردات.

المطلب الأول : التعاور بين مفردتي انفجرت، انبجست.

المطلب الثاني: التعاور بين مفردتي الطور والجبل.

المطلب الثالث: التعاور بين مفردتي العاكفين والقائمين.

ولتحقيق هذه المباحث والمطالب كنت قد اعتمدت على المنهج الوصفي سبباً في هذا البحث، واتخذت التحليل أداة له.

مقدمة

لأنه بحثي بخاتمة توصلت فيها إلى مجموعة من النتائج.

وقد استندت في بحثي على مجموعة من البحوث التي كانت السَّابِقة في هذا المجال ومنها:

1. شادلي سميرة (التفسير البياني للنص القرآني عند فاضل السامرائي)، أطروحة دكتوراه من جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس 2015/2016.
2. محمد ياسر خضر العوري (دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآن)، أطروحة دكتوراه من جامعة بغداد_العراق، 2008.
3. نبيل سيد عبد الفتاح محمد علي (قضايا اللغة والأسلوب في كتاب الخصائص لابن جني)، أطروحة دكتوراه بجامعة عين شمس_القاهرة 2003.

تختلف الدراسة الأولى عن دراستي في كونها اقتصت بالتفسير البياني، أما دراستي فتختص في بعض القضايا اللغوية، ولا يخفى ما بينهما من العموم والخصوص.

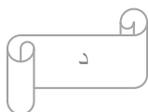
وتختلف الدراسة الثانية عن دراستي، كونها تتصف بالشمولية فهي تنظر في الفروق اللغوية للقرآن كاملاً، بينما دراستي تختص ببعض الفروقات في القضايا اللغوية، كما تختلف عن دراستي في مدونة البحث فهو اتخذ من القرآن مدونة بينما مدونة دراستي هي ما جاء به السامرائي في كتابه بلاغة الكلمة.

أمّا عن الدراسة الثالثة فتختلف على دراستي من ناحية المدونة (الخصائص لابن جني)، كما تختلف في مضمون البحث فهو شامل لعدة قضايا لغوية، بينما دراستي خاصة، كما تختلف دراستي من ناحية القضايا المنتخبة للدراسة، فقد استعمل (الحذف والزيادة، الترادف والاشتراك اللفظي)، يقابلها في دراستي (الذكر والحذف، تعاور المفردات).

ومن أهم المصادر والمراجع التي ارتكزت عليها: التحرير والتنوير لابن عاشور، البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني، تفسير القرآن العظيم لابن كثير...

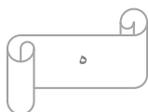
وأما عن الصعوبات التي واجهتني تمثلت في اختلاف العلماء والمفسرين في توجيه بعض الآيات القرآنية بحيث لم أجد تفسيراً لكلا الموضعين عند المفسر الواحد، غير أنني تجاوزتها بعون من الله تعالى ثم بنصائح وتوجيهات أستاذنا الفاضل بو عافية محمد الصالح.

الطالبة: بن ستي سندس



مقدمة

في ورقة 2023/05/31



تفہیم

تمهيد:

تطرقُ في هذا التمهيد إلى ترجمة عن حياة المؤلّف فاضل صالح السامرائي، ومنهجه في تأليفه لهذا الكتاب، والمؤلّف بلاغة الكلمة في التعبير القرآني.

أولاً: ترجمة عن حياة فاضل السامرائي:

هو أحد العلماء الأجلاء المعاصرين الذين خاضوا وتبحروا في علوم اللغة والدين، وممن له مشاركات نافعة في علم البلاغة خاصةً فيما يتعلق بإبراز الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ومن الذين سُلِّط عليهم الضوء وهو ابن العراق فاضل صالح السامرائي.

1. مولده ونشأته:

هو فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري من عشيرة " البدري " من مواليد سامراء عام 1933، أخذه والده منذ نعومة أظفاره إلى مسجد حسن باشا أحد مساجد سامراء لتعلم القرآن الكريم و كشف ذلك عن حدة ذكائه ، حيث تعلم القرآن الكريم في مدة وجيزة.¹

التحق بالمدرسة الابتدائية سنة 1941، وبالمتوسطة سنة 1947، وواصل تعليمه بالمدرسة الإعدادية في سامر وتخرج منها سنة 1952، ثم واصل الماجستير في كلية الآداب بجامعة بغداد، وكان من الأوائل الذين نالوا هذه الشهادة في اللغة العربية تحت رسالة بعنوان (ابن جني نحوي)، ثم حاول إتمام دراسة الدكتوراه في القاهرة بجامعة عين شمس، هذا لأنّها لا توجد في بغداد، وحاز عليها سنة 1968.²

انتقل إلى مدينة الأعظمية في بغداد حيث حاول فيها الدخول في دورة تربوية لإعداد المعلمين، ودامت هذه الدورة سنة كاملة حيث تخرج منها سنة 1953.

ومن المراحل التي خاضها في التدريس أنه عُين معلّمًا سنة 1953، ودخل إلى كلية التربية قسم اللغة العربية سنة 1944، وحاز فيها على درجة البكالوريوس بتقدير امتياز، غير أنه رجع بعد ذلك للتدريس في أقسام الطور الثانوي، وبعد أن حاز على شهادة الدكتوراه عاد للعراق والتحق بالتدريس في كلية الآداب بجامعة بغداد، وبعدها عُين عميدًا لكلية الدراسات الإسلامية المسائية في السبعينيات 1979، وبعدها استدعته الكويت للتدريس في قسم اللغة العربية، ثم عاد إلى العراق وأصبح خبيرًا في لجنة الأصول في المجمع العلمي العراقي سنة 1983، وعُين عضوًا فيها سنة 1996، وتقاعد في 1997.

¹ سيرة عالم للدكتور فاضل صالح السامرائي، ديوان الوقف السني "تحقيقات و تقارير" ، <http://sunniaffairs.gov.iq> ، 2023 /01 /03.

² ينظر: الجهود التفسيرية للدكتور فاضل السامرائي دراسة تحليلية، عبد القدوس رحمن حميد حسن الأركي ، مكتب مرمر، بغداد، ط1، 2019، ص: 5، 6.

تمهيد

ثم تموت الأمهات وتنفس اليرقات وتكبر، وعند تكاثرها تفعل نفس الفعل الذي قامت به الأمهات من قبل، رغم أنها لم تراها من قبل.

الثاني: يتمثل في تلك الرؤى المنامية التي وصل عددها المئات وجاءته كرسائل من عوالم الغيب، فبعضها كانت تفسيراً لأمر غامضة صادفة لليقظة، وكانت أول خطوة بعد كل ذلك هي تأمل القرآن الكريم وأكثر ما جذبته الآيات (1-4) من سورة الروم التي كشفت عن حقائق صادقة وواقعية، وكذلك الآيات (11-16) من سورة المدثر وغيرها من الآيات والمسائل في الإعجاز العلمي والحقائق الأخرى التي ذكرها القرآن.¹

2. أساتذته وتلاميذه:

من بين الأساتذة الذين تتلمذ على يدهم فاضل السامرائي؛ الشيخ قدوري عباسي الذي كان له الفضل في تعليمه القرآن الكريم، وكذلك مصطفى جواد، وأحمد عبد الستار الجوري، وتقي الدين الهلالي وآخرون.²

ومن جهة أخرى نجد من تتلمذ على يد فاضل السامرائي وهم كثيرون، ومنهم من نال الماجستير والدكتوراه وهو من قام بالإشراف على رسائلهم، فكانت تمتلئ مجالس محاضراته ودروسه بالطلاب.³

3. آثاره ومؤلفاته العلمية:

لقد ألف فاضل السامرائي عدداً هائلاً من المؤلفات والكتب في علوم اللغة والدراسات القرآنية، وحظيت بانتشار كبير في أنحاء الوطن العربي، ومنها:⁴

✓ نداء الروح: ويعدُّ أول كتاب صدر عام 1958.

معاني الأبنية في العربية.

✓ الجملة العربية والمعنى.

✓ الجملة العربية تأليفها وأقسامها.

✓ معاني النحو.

✓ تحقيقات نحوية.

✓ أبو البركات ابن الأنباري ودراساته النحوية.

✓ التعبير القرآني.

¹ ملامح من حياة العالم اللغوي فاضل صالح السامرائي: شاذلي عبد الغني اسماعيل، <https://www.alukah.net>، 2023، 06:30/01/19.

² ينظر: الجهود التفسيرية للدكتور فاضل السامرائي دراسة تحليلية، عبد القدوس رحمن حميد حسن الأركي، ص: 7.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 6.

⁴ نبذة عن فاضل السامرائي، محمد شورب، <https://sotor.com>، 9:04، 23 يوليو 2019.

تمهيد

- ✓ نبوة محمد من الشك إلى اليقين.
- ✓ الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري: وهي رسالته في الدكتوراه.
- ✓ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: وهو مدونة هذه الدراسة.

فكان لفاضل السامرائي أكثر من خمسة عشر بحثاً علمياً في اللغة العربية.

4. منهجه في التأليف:

ومن خلال دراستي واطلاعي على بعض مؤلفات فاضل السامرائي استنبطت منهجه العلمي في التأليف.

وقد اعتمد فاضل السامرائي في كتابه (بلاغة الكلمة) على الأسلوب العلمي في عرض قضاياها، والذي يعتمد على الدقة مزوداً بالحجج ومتميزاً بطريقة الإقناع.

حيث يظهر هذا الأسلوب العلمي في أنه كان يعرض المسألة أو القضية ثم يقدمها بفكرة عامة مختصرة، ليحاول فيما بعد إثبات رأيه بشواهد ونماذج من القرآن الكريم، ثم يعمل على شرحها وتحليلها مستأنساً بالمعاجم وكتب التفسير والقراءات وكذلك كتب اللغة العربية.

ومن المميز لهذا الكتاب أنه لا يصيب قارئه بالضجر والملل، وذلك لأن أسلوبه تكسوه الجزالة والرّصانة، والمتعة في الشرح.

كما أنه يعرّز توجيهه بالأدلة والبراهين وذلك بالاستدلال بأكثر من آية في توجيه آية واحدة من القرآن الكريم، واعتمد أيضاً على الموازنة بين التعابير والسياقات القرآنية ليستنبط من ذلك المقام والذي حدّد به الفروق الدّقيقة بين اختلافات توظيف المفردة، ليخرج من خلالها بنتائج معينة، تفضي لنا عن تميزه في استخراج اللمسات البيانية للمفردة المكونة في جوهر السياق. ليضيف بعدها في كل توجيهاته جملة (الله أعلم) وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على تواضعه.

ثانياً: التعريف بالمدونة:

يُعدُّ كتاب "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" من أبرز مؤلفات فاضل السامرائي، والذي حاول فيه البحث عن أسرار الكلمة في القرآن الكريم، فمن الأسباب التي دعت له هذا التأليف هو:

- ✓ لما يراه من أهمية للمفردة.
- ✓ لجفاء الدراسات في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.
- ✓ لإيمانه بأن ما ذكر في القرآن مقصود وما حُذف مقصود (الأصل مقصود وما خرج عنه مقصود).

تمهيد

✓ عدم اقتناعه بالبحوث السابقة في تعليقات الفروق بين استخدام المفردات وخاصةً في تحليلهم لاستعمال الأفراد والتنثنية والجمع في النخل والنخيل، وتحليلهم لتعاور المفردات بين العاكفين والقائمين.

✓ أنه لم يجد كتاباً يختصُّ بتعليقات اختلاف المفردات.¹

وفي خلال بحثه حاول التماس الفروق الدقيقة في توظيفها بموجب المقام والسياق الذي وردت فيه، كما يعد هذا الكتاب من ضمن الكتب الخاصة التي يستعين بها طالب العلم لفهم معاني وأسرار البيان في القرآن الكريم، فهو من الكتب الحديثة التي جاءت خادمةً لكتاب الله وتقرباً للنص القرآني.

ولا يخفى على قارئ هذا الكتاب أنه سيجد فيه اللقمة السائغة التي تفتح شهيته على العديد من الكتب القديمة في التوجيه والتفسير لكبار المفسرين والتي قد يصعب فهمها.

أما عن هيكله العام فقد جاء هذا الكتاب في مائة وثمان وعشرين صفحة، مستهلاً بمقدمة خطها في ست صفحات أورد فيها فكرة عامة عن محتوى هذا الكتاب والذي يدور حول المفردة، ثم قسمه حسب الظواهر اللغوية التي تمسُّ الكلمة، فجاءت في ثمانية عناوين أساسية تطبيقية، (الذكر والحذف، والإبدال، فعّل وأفعل بمعنى <كلُّ منهما بمعنى>، المبني للمجهول، الوصف، الأفراد والتنبيه والجمع، الحركة الإعرابية، تعاور المفردات)، حيث قام بالتفصيل فيها دون تبويب أو تعريف، غير أنه كان يعطي لكل موضوع فكرة واضحة تزيل عنه الغموض، مدعماً ذلك بأمثلة يستدلُّ بها ليساعد القارئ على فهم النص القرآني وليستيقن من توجيهه الذي طرحه، كما يستزيد ببعض ما جاء في كتب التفسير عند القدامى، بالإضافة إلى اعتماده على شرح المفردات وفق ما جاء في معاجم العربية.

ومن هذه الظواهر وقع اختيارنا على ثلاثة منها وهي (الذكر والحذف، الوصف، التعاور)، وهذا لم يكن اعتباطياً وإنما اخترنا هذه الظواهر لأنها تحمل الكثير من شحنات الاختلاف بين الموجهين، كما أن السامرائي كان له فيها وقفات خاصة عن غيره ما جعلنا نختارها.

¹ ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، مقدمة فاضل صالح السامرائي، من ص: 3 إلى ص: 6.

قراءة في بعض القضايا اللغوية
في كتاب بلاغة الكلمة في التعبير
القرآني

أولاً: التعريف بالقضايا اللغوية:

سعى العرب إلى التفتن في دراسة قضايا اللغة من جميع نواحيها المختلفة، وقد حاولوا التنافس في خدمتها والمحافظة عليها كونها لغة ثمينة وذلك من خلال إظهار خصائصها وميزتها، وهذا ما جعلهم يهتمون بتأليف كتب ومصنفات تشمل جل الموضوعات التي لها صلة بها. ومن هنا قد يتبادر في الذهن ما هو تعريف القضايا اللغوية؟

فيكون هذا المصطلح من كلمتين هما: (القضايا) و(اللغوية)

1. القضايا لغة واصطلاحاً:

- أ- **القضايا لغة:** "القضاء: الحُكْم، وأصله قضايٌّ لأنه من قضيتُ إلا أن الياء جاءت بعد الألف همزت؛ قال ابن بري: صوابه بعد الألف الزائدة طرفاً همزت، و الجمع الأفضية و القضية و الجمع القضايا على فعالي و أصله فعائل و قضى عليه يقضي قضاء و قضية و الأخيرة مصدر كالأولى و الاسم القضية فقط".¹
- ب- **القضايا اصطلاحاً:** "للقضية تعريفات عدة على حسب ما يقتضيه السياق العلمي المتعدد فيه ولكنها لا تخرج عن كونها معياراً أو مبدأً في نسق منطقي كلامي منضبط من أجل الوصول إلى نتيجة و من ذلك تعريف الجرجاني: القضية قول يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب فيه".²

2. اللغوية لغة واصطلاحاً:

- أ- **اللغوية لغة:** اللغوية: و هي من كلمة لغة و عرفت اللغة لغة بأنها: "لغا: اللغو و اللغا: السقط و ما لا يعتد به من كلام و غيره و لا يحصل منه على فائدة ولا نفع"³

و عرفت أيضاً ب: " اللغة أصلها لُغِي، أو لُغُو، و الهاء عوض و جمعها لُغَى"⁴

¹ لسان العرب، ابن منظور، تح: أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج: 11، ط1، (2001)، مادة (ق ض ي)، ص 186.

² معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص 148.

³ لسان العرب، المرجع السابق، ص 250.

⁴ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، (1430/2009)، ص 1039.

ب- اللغوية اصطلاحاً: فقد عرفت بأنها: " فعل لساني، أو ألفاظ يأتي بها المتكلم ليعرّف غيره ما في نفسه من المقاصد و المعاني"¹

ثانياً: تعريف القضايا اللغوية مركباً وصفيًا:

من خلال ما سبق وبعدهم وجود مراجع تذكر التعريف الوصفي لهذا التركيب (القضايا اللغوية) فإننا نستخلص أنها الفعل اللساني المنسق وفق معايير مضبوطة من أجل الوصول إلى نتيجة علمية تحققها في شكل قاعدة ويتم تعميمها.

¹ القواعد الأساسية للغة العربية، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1354)، ص7.

المبحث الأول: قضية الذكر و الحذف

المطلب الأول: الذكر والحذف في الحروف

المطلب الثاني: الذكر والحذف في الضمائر

المطلب الثالث: الذكر والحذف في الأصوات

المبحث الأول: قضية الذكر والحذف:

من روائع الإعجاز البياني في القرآن الكريم: هو تلك التعابير القرآنية التي تحدى الله بها أهل البيان والبلاغة، مما جعلهم يلفتون النظر إليها من أجل الكشف عن أسرارها ، ومن هذه الروائع ظاهرة الذكر والحذف التي لا تكون عبثاً وإنما لحكمة ربانية لا يعلمها إلا هو، ورغم ذلك فإننا نجد الكثير من المفسرين بحثوا وحاولوا وضع عللٍ وتوجيهات لهذه الظاهرة، ومن أبرزهم فاضل صالح السامرائي؛ الذي كانت له نظرة ثاقبة وعميقة حول النص القرآني فجاء بتوجيهاتٍ اختلف بها عن سابقيه وأقرانه.

ولمعرفة ما جاء به السامرائي في هذه الظاهرة يجب أولاً أن نُعرِّج على مفهوم هذه الظاهرة من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

أولاً: تعريف الذكر لغةً:

جاء في معجم مقاييس اللغة: "ذَكَرْتُ الشَّيْءَ خِلَافَ نَسِيئْتُهُ، ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ. وَيَقُولُونَ: اجْعَلْهُ مِنْكَ عَلَى ذُكْرٍ، بضمِّ الدالِّ، أي لا تنسه"¹

ثانياً: تعريف الذكر اصطلاحاً:

جاء في البلاغة العربية" (الذكر) وهو أن يَأْتِيَ الكَلَامُ عَنْ أَصْلِهِ، وَلَا مُقْتَضَى لِلعُدُولِ عَنْهُ"²، أي أنه لا يكون هناك داعٍ (عوامل) لتغييره (إمّا بالزيادة، أو النقصان).

ثالثاً: تعريف الحذف لغةً:

يقول الجوهري في الصحاح: "حَذَفُ الشَّيْءِ: إِسْقَاطُهُ، يُقَالُ: حَذَفْتُ مِنْ شَعْرِي وَمِنْ ذَنْبِي الدَّابَّةَ، أي أَخَذْتُ"³

رابعاً: تعريف الحذف اصطلاحاً:

¹ مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، 1979، ج 2، ص 358.
² البلاغة العربية، بن عيسى بالطاهر، د.تح، دار الكتاب، بنغازي، ليبيا، ط1، 2008، ص 121.
³ الصحاح في اللغة والعلوم، الجوهري، د.تح، دط، دن، ص: 950.

حيث جاء تعريفه في معجم المصطلحات من الناحية النحوية بأنه: "إسقاط كلمة من بناء الجملة، وقد تكون هذه الكلمة ركنًا من أركانها؛ كالمبتدأ أو الخبر أو الفاعل، وقد تكون حرفًا، وقد تُحذف الجملة".¹

كما عرّفه الزركشي بأنه: "إسقاط جزء من الكلام، أو كله لدليل أو قرينة"²، وهو تعريف عام ظاهري.

وفي مجمل تعريف هذه الظاهرة (الذكر والحذف) يقول محمد علي بن حسين المالكي: "إذا أُريدَ إفادة السامع حكمًا، فأئى لفظٍ يدلُّ على معنى فيه فالأصلُ ذكره، وأئى لفظٍ عُلِمَ من الكلام لدلالة باقيةٍ عليه فالأصلُ حذفه، وإذا تعارض هذان الأصلان فلا يعدلُّ عن مقتضى أحدهما إلى مقتضى الآخر إلا لداعٍ".³

ونستنتج من خلال هذا التعريف أنه إذا كان الأصل في الذكر كافيًا في إيصال المعنى فذكره أولى، وإذا كان حذفه لا يخل بالمعنى أو لا يؤدي فائدته فحذفه أولى.

أمّا من الناحية البلاغية فيقول عبد القاهر الجرجاني: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيهٌ بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفاد، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبين".⁴

نستنتج من تعريف الجرجاني أن الحذف أبلغ و أفصح من الذكر، فوضوح المعنى وبلاغته تكون في الحذف.

المطلب الأول: "الذكر" و "الحذف" في الحروف:

للحرف ميزة في تحديد معاني الكلمات وذلك أن ذكره يؤدي معنى وغرض محدد ومهم، وعند حذفه يؤدي إلى تجلي معنى آخر مخالف للمعنى السابق، ونجد الذكر والحذف في ما يلي:

- "ذكر" و "حذف" التاء في موضعين من سورة الكهف:

الموضع الأول: ذكر التاء في قوله تعالى

(قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) [الكهف:78].

الموضع الثاني: حذف التاء في قوله تعالى

¹ طاهر عبد الفتاح الطويل، www.arabia.com، 2019.08.22.

² المرجع نفسه.

³ محمد علي بن حسين المالكي، www.afaqattaiseer.net، 12 نوفمبر 2008، 10:20 صباحًا.

⁴ عبد القاهر الجرجاني، <https://oumustansiriyah.edu.iq>، 2020.03.02.

(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) [الكهف: 82].

فهنا يظهر "الذكر" و "الحذف" جليًا في الموضعين، وهذا ما يدفعنا للتساؤل عن سبب ذلك رغم أنهما في سورة واحدة، وللإجابة عن هذا التساؤل نجد أن السامرائي قد وجَّهها بأنَّه في الآية الأولى كان المقام مقام شرح وتوضيح، وفي الآية الثانية حيث "الحذف" كان المقام مقام مفارقة ولم يتكلم بعدها بكلمة وفارقه، فحذفت من الفعل،¹ وهنا يشير إلى شيء بالغ الأهمية وهو في البلاغة (لكلِّ مقامٍ مقال)، ففي الأولى كان المقام يستدعي الإطناب فجاء بالحرف ولم يحذف، أمَّا في الثانية فكان المقام يستدعي التعجُّل فحذفها.

ومن جهة أخرى نجد أن ابن كثير كان له توجيه مغاير، حيث يرى أن سبب الذكر في الآية الأولى هو أن الإشكال كان ثقيلًا،² وسبب الحذف في الآية الثانية هو (ما ضقت به ذرعًا ولم تصبر حتى أخبرك به،... فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف).³

وهذا التوجيه (مقابلة الأثقل بالأثقل والأخف بالأخف) ذكره السامرائي في الآية (فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) [الكهف: 79]، فيقول: "فحذف من الحدث الخفيف،... بخلاف الفعل الشاق الطويل".⁴

وذهب ابن عاشور إلى أن سبب الذكر هو الأشهر استعمالًا، وأنَّ سبب "الحذف" في الثانية هو التخفيف "حذف تاء الاستفعال تخفيفًا لقربها من مخرج الطاء"،⁵ ووجَّه مخالفة الآية الثانية للآية الأولى على أنها للتفنُّن وتجنبًا للتكرار.⁶

من خلال ما سبق نستنتج أن السامرائي قد تفرَّد بتوجيهه، فقد خصَّ كل من موضعي "الحذف" و "الذكر" (تسطع، و تسطع) فكان المقام في الأولى مقام تبين وإيضاح، وفي الثانية مقام مفارقة.

المطلب الثاني: "الذكر" و "الحذف" في الضمائر:

الضمائر أسماء جامدة للدلالة على متكلم أو مخاطب أو غائب. كما أنها وسيلة لربط أجزاء الكلام، كما أنها تفيد الإيجاز والاختصار، و تبقى من العناصر الأساسية في اللغة العربية.

• "ذكر" و "حذف" الضمير (الياء) في سورتي المنافقون والإسراء

¹ ينظر: بلاغة الكلمة، فاضل صالح السامرائي، ص16.

² يُنظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار ابن باديس، الجزائر، مج 3، دط، ص136.

³ المرجع نفسه: ص136.

⁴ بلاغة الكلمة، فاضل صالح السامرائي، ص9.

⁵ التحرير والتنوير، ابن عاشور، دار التونسية للنشر، تونس، دط، 1884، ج 1، ص15.

⁶ ينظر: المرجع نفسه: ص15.

الموضع الأول: ذكر الضمير في سورة المنافقون في قوله تعالى:

(وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) [المنافقون:10].

الموضع الثاني: حذف الضمير في سورة الإسراء في قوله تعالى:

(قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَكِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) [الإسراء:62].

فنلاحظ أنَّ الضمير قد ذُكر في الموضع الأول؛ والذي جاء على لسان المتوقِّف، وحُذف في الموضع الثاني؛ الذي جاء على لسان إبليس.

وعلى الرغم من عدم وجود عاملٍ نحويٍ يستوجب هذا الحذف، إلا أنَّ المفسرين واللغويين قد حاولوا توجيه سبب الذكر وعلّة الحذف في الموضعين، بالإضافة إلى أنَّهم قد اشتركوا في تأويلٍ يصبُّ في معنى واحد. إلا أنَّ السامرائي كانت له وجهة نظر ثابتة وعميقة، حيث يقول موجِّهًا ومعلِّلاً سبب الذكر والحذف: أنَّ الذِّكر جاء في موضع طلبٍ خاصٍ يريده الطالب لنفسه، بأن يدفع الضُرَّ عنه فهو طلبٌ صريح، لذلك صرَّح بالضمير وأظهر نفسه في الطلب الصريح.¹

وأنَّ الحذف جاء في موضع طلبٍ ليس لمنفعةٍ ولا لدفع ضُرٍّ، كما أنَّه ليس بطلبٍ وإنما شرطٌ دخل عليه القسم فكان من باب الطلب الضمني غير الصريح، فناسب حذف الضمير والاكتفاء بالكسرة.²

وحسب ما جاء في التفاسير الأخرى، نجد الثعلبي يقول: أخرتني بمعنى أمهلنتي ويجوز أن يكون بمعنى التمني، ويمكن أن يكون استفهاماً بمعنى هلاً... أما في الآية الثانية لئن أخرتن أي أمهلنتي...³، حيث يظهر أنَّه لم يلتفت للفرق بين الذكر والحذف في الموضعين، بل سلط الضوء على المعنى العام.

كما نجد الرازي كذلك في توجيهه لهذين الآيتين يركِّز على المعنى العام للآية ولا يُخصِّص هذه الظاهرة بالتوجيه، حيث يقول في موضع الذكر: أي دلائل الموت وعلاماته فيسأل الرجعة إلى الدنيا وقيل حظُّهم على إدامة الذكر، ... أي هلاً أمهلنتي وأخرت أجلي إلى

¹ ينظر: بلاغة الكلمة، السامرائي، ص25.

² ينظر: المرجع السابق، ص25.

³ ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ج9، ص: 323.

زمانٍ قليل...¹، وفي موضع الحذف يقول بأنها قد قرأها ابن كثير بإثبات الياء وصلًا ووقفًا، وفي هذا إشارة على تماثلها وأنه لا اختلاف بينهما (الذكر والحذف).

وفي الأخير وحسب اطلاعي على ما جاء من توجيهٍ لهذه الظاهرة في الموضوعين، أجد أنّ السامرائي قد تفرّد بنظرته العميقة، حيث التمس الفرق بين المطلبين (طلب صريح، وطلب ضمنى)؛ فلمّا كان طلب التأخير لمصلحة الطالب وأنه ابتغاه لنفسه أظهر الضمير، ولمّا كان طلب إبليس ليس من أجل مصلحته حذف الضمير.

المطلب الثالث: "الذكر" و "الحذف" في الأصوات:

تعد الأصوات مجموعة من التأثيرات التي تعطي نغما موسيقيا ونبرا في أذن السّامع، وما يستشعره من تناغمٍ وتجانسٍ في ترتيب مقاطع الأصوات حتى في حذفها، وقد يتساءل القارئ كيف ذلك؟ وللإجابة عن هذا السؤال، حاولنا انتقاء مثال عن "ذكر" و "حذف" الأصوات في القرآن الكريم.

- "ذكر" و "حذف" الصوت في موضعين من سورة الإنسان:

الموضع الأول: ذكر الصوت في قوله تعالى:

(وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَيَّةٍ مِنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ **قَوَارِيرًا**) [الإنسان:15].

الموضع الثاني: حذف الصوت في قوله تعالى:

(**قَوَارِيرًا** مِنْ فَضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) [الإنسان:16].

حيث يظهر من خلال الرّسم القرآني أنّ كلا الموضوعين متماثلين، إلا أننا عند نطقنا بالآيتين وصلًا ووقفًا نجد أنه عند الوقف بالآية الأولى نذكر الصوت (الألف)، بينما عند الوصل (الآية الأولى بالثانية) نحذف الصوت (الألف).

وفي توجيه هذا يقول السامرائي: "أنّ القوارير أطلقها في الآية الأولى بالألف وكان حقًا ألا تُطلق لأنها ممنوعة من الصرف، ويبيّن أنّ من دواعي ذلك قال والله أعلم أنّه أطلق الصوت فيها مناسبةً لإطلاق جنسها ونوعها، فهو ليبين نوع القوارير ولا من أي جنس هي فأطلقها لذلك، ولمّا قيّد جنسها في الآية التي تليها، فقال: "قوارير من فضّة" لم يُطلقها، هذا علاوةً على رعاية الفاصلة فزادها ذلك حُسناً على حسن والله أعلم"² حيث نلاحظ من خلال توجيه السامرائي أنّه أولها من الجانب الصرفي والبلاغي، غير أنّ الرازي قد وجّهها من

¹ ينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوجيه، ط1، 1981، ج30، ص: 19. و ط3، ج21، ص366.

² بلاغة الكلمة، فاصل صالح السامرائي، ص: 35.

الجانب النحوي واكتفى، حيث يقول أن: "هذا التثوين بدل من الأول فيتبع البديل المبدل، وقرئ "قوارير من فضة" بالرفع على هي قوارير وقدروها صفة لقوارير من فضة"¹

وجاء في تفسير ابن عاشور أن "لفظ قواريرًا الثاني يجوز أن يكون تأكيدًا لفظيًا لنظيره لزيادة تحقيق أن لها رقة الزجاج فيكون الوقف على "قواريرًا" الأول، ويجوز أن يكون تكريرا لإفادة التصنيف فإن حسن التنسيق في آنية الشراب من مكملات رونق مجلسه"²

ونستخلص مما ذكر وما جاء به السامرائي في توجيهه للذكر والحذف في صوت الألف، أن الذكر ناسب الجنس لا النوع (حيث ذكر الألف في الموضع الأول لأنها ممنوعة من الصرف، ولأن الغاية هو إبراز الجنس)، وناسب الحذف في الثانية إرادة تبيين النوع فهي مقيدة بنوع القوارير، كما جاء الحذف مراعاةً للفاصلة القرآنية.

كما أنه قد يعود سبب الذكر والحذف إلى طريقة القراءة، وما وجد في الرسم القرآني (الوصل والوقف)، أو للتأكيد اللفظي كما أشار ابن عاشور.

¹ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوجيه، ط 1، 1981، ج 30، ص: 250.

² التحرير والتثوير، ابن عاشور، ص: 392.393.

المبحث الثاني: قضية الوصف
المطلب الأول: وصف الزيتون و الرمان
المطلب الثاني: وصف النخل

المبحث الثاني: قضية الوصف:

يعد الوصف فناً من فنون التعبير في اللغة، والتي يسعى بواسطتها المتكلم توصيل المعاني بأساليب متعددة وبألفاظٍ يمزج فيها جُلَّ أحاسيسه ومشاعره، حتى يتمكن من إيصالها وتجسيدها للقارئ بصورة أدق وأقرب للواقع.

وقد أبرز لنا القرآن ظاهرة الوصف في أبلغ صور الجمال، مما أظهر الإعجاز في بلاغة توظيفها وهذا ما جعل فاضل السامرائي يخوض دراساتٍ بيانية عميقة يُبين من خلالها مدى تأثير هذه السياق على الظاهرة. وقبل الخوض فيما جاء به السامرائي في هذا الباب يجب علينا التعرف على ماهية هذه الظاهرة.

أولاً: الوصف لغةً: "وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفةً: حلاًها"¹.

وقال ابن فارس إنَّ: (وصف) الواو والصاد والفاء: أصل واحد، هو تحلية الشيء، ووصفته أصفه وصفاً، والصفة: الأمانة للشيء، كما يقال وزنته وزناً، والزنة: قدر الشيء، يُقال اتصف الشيء في عين الناظر، احتمل أن يوصف"².

ثانياً: الوصف اصطلاحاً:

عرّفه أحمد الهاشمي بأنّه: "عبارة عن بيان الأمر بشعبه وأحواله وضروب نعوته المحتملة له، وأصوله ثلاثة: الأول أن يكون الوصف حقيقياً بالموصوف مُفَرِّزاً له عمّا سواه. الثاني أن يكون ذا طلاوة ورونق، والثالث ألا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب، ويكتفي بما كان مناسباً للحال"³ ونستنتج من خلال التعاريف السابقة أن الوصف تحديد شامل لصور الأشياء يقوم على الدقة وتوضيح هيئة الموصوف بشيء من التفصيل للوصول إلى جوهره.

المطلب الأول: وصف الزيتون والرمان:

• وصف الزيتون والرمان في سورة الأنعام من موضعين:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: 99)

الموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام: 141)

¹ معجم لسان العرب، ابن منظور، دار صاد، بيروت، لبنان، 1965، ط 3، مادة (و ص ف).

² مقاييس اللغة، ابن فارس، ج6، مادة (و ص ف).

³ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد الهاشمي، مطبعة السعادة مصر 1965، د.ط، ج1، ص: 326.

فلاحظ هنا أنه قد وُظِّفَت (غير متشابه) للوصف في كلا الموضعين، إلا أنَّ الاختلاف يكمن في الكلمة الأولى المذكورة بعد الزيتون والرمان (متشابه، مشتبه)، حيث وجَّه السامرائي هذا التماثل والاختلاف بين الآيتين في الكلمتين بأنَّ سياق الآية الأولى كان لبيان قدرة الله عزَّ وجل، وذلك لأنَّه بدأ بمرحلة ما قبل الإنبات وبيَّن أنَّه هو الذي أنزل الماء من السَّمَاء وأخرج كلَّ شيء من النبات على وجه العموم، ولم يخصِّصه بنوع معين من النبات، وأنَّ الفعل (اشتبه) يفيد الالتباس والإشكال¹

أمَّا عن الآية الثانية التي وردت فيها لفظة (متشابه) فقد جاء السياق فيها لبيان ما يؤكل من الفواكه والزرع وكذلك بيان الأطعمة وما يحلله ويحرمه الكفار افتراءً وطعنا في حق الله وبيان عقائدهم الباطلة، حيث دلَّ (التشابه) على معنى التشابه بين شيئين أو الأشياء المشتركة في المعنى سواء أدَّى ذلك إلى الالتباس أم لا².

وفي توجيه آخر يرى ابن عاشور أنَّ ذكر (مشتبهًا وغير متشابه) في الآية الأولى: "حالٌ ومعطوفٌ عليه، والواو للتقسيم بقريئة أنَّ الشيء الواحد لا يكون مشتبهًا وغير متشابه، أي بعضه مشتبه وبعضه غير متشابه، وهما حالان من الزيتون والرمان معًا، وإنَّما أفرد ولم يُجمع اعتبارًا بإفراد اللفظ"³ وأضاف ابن عاشور شارحًا للفرق بين اللفظتين أنَّ "التشابه و الأشباه مترادفان...، وهما مشتقان من الشبه، والجمع بينهما في الآية للتفنُّن كراهية إعادة اللفظ، ولأنَّ اسم الفاعل من التشابه أسعد بالوقف لِمَا فيه من مدِّ الصوت بخلاف مشتبه وهذا من بديع الفصاحة"⁴

أمَّا الزمخشري فقد وجَّه آية (مشتبهًا وغير متشابه) بأنَّهما من الافتعال والتفاعل، حيث يقول موضِّحًا: "بمعنى اشتبه الشَّيْئَان وتساوها، وذلك كقولك استويا وتساويا، والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرًا، وقرئ مشابهاً وغير متشابه وتقديره: الزيتون متشابهًا وغير متشابه، والرمان كذلك، والمعنى بعضه متشابهها وبعضه غير متشابه، في القدر واللون والطعم"⁵.

ومن خلال اطلاعنا وجدنا أنَّ قتادة وابن جُرَيْج كان لهما توجيه مخالف عن البقية حيث وجَّه الفرق بين المفردتين بأنَّ التشابه يكون في الشكل والمنظر، وأمَّا الاختلاف فيكون في الطعم⁶.

¹ ينظر: بلاغة الكلمة، السامرائي، ص: 84.

² ينظر: المرجع السابق، ص: 84.

³ التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص: 402.

⁴ المرجع نفسه، ص: 402.

⁵ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب، ط3، ج2، ص: 52.

⁶ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص: 306، 348.

نستنتج مما سبق أن جمهور المفسرين اشتركوا في توجيه المفردتين (التشابه والاشتباه)، على أنهما من باب الافتعال والتفاعل، وأن التخصيص يكون في المعنى الباطني للوصف وهو أن كلاً من الجملتين (مشتبهًا وغير متشابه)، (متشابهًا وغير متشابه)، يريد بها تخصيص الشكل والطعم للثمار. إلا أن السامرائي كان قد خالفهم فيما ذهبوا إليه وتفرّد برأي مخالف، حيث أرجع سبب الاختلاف إلى سياق الآيتين، كما فرّق بين اللفظتين على أن (الاشتباه يعني الإشكال والالتباس)، وأن (التشابه يكون للأشياء المشتركة)، كما وضّح التماثل في الآيتين (غير متشابه) على أنها للوصف ونفي التشابه ينفي الاشتباه، ونفي الاشتباه لا ينفي التشابه.

المطلب الثاني: وصف النخل:

• وصف النخل في سورة الحاقة والقمر:

الموضع الأول: قوله تعالى:

(سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ

خَاوِيَةٍ) [الحاقة:7]

الموضع الثاني: قوله تعالى:

(تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) [القمر:20]

فنلاحظ من خلال الآيتين أنه سبحانه قد أوردَ صفة المؤنث لكلمة النخل (نخلٍ خاوية) في سورة الحاقة، وأمّا في سورة القمر وردت بصفة المذكر (نخلٍ منقعر)، وفي هذا الاختلاف الوارد للوصف نجد أن السامرائي قد حاول توجيه هذا الاختلاف وإعطاء فروقٍ دقيقة، حيث يرى أن النخل في آية الحاقة أكثر منه في آية القمر، واستدلّ على ذلك بالسياق، فكلا الآيتين تصف العذاب الذي سُلط على قوم عاد، حيث ذكر عزّ وجلّ في الآية الأولى أن العذاب كان بريحٍ صرصرٍ عاتية، وأمّا في الآية الثانية فذكر أن العذاب كان بريحٍ صرصرٍ في يوم نحس؛ فيقول السامرائي في ذلك أنه مادام سبحانه قد زاد في وصف الريح بالعاتية في سورة الحاقة فهي أشدّ وفعلها أكبر واقتلاعها أكثر، بينما في سورة القمر لم يزد عن الصفة الأولى (صرصرٍ) وذكر سبحانه أنه بعثه عليهم في يوم نحس. ويضيف السامرائي شارحًا أن الله قد ذكر في القمر أنه أرسلها عليهم في يومٍ، بينما ذكر في الحاقة أنه سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام، وكما نعلم أن الزيادة في المبنى تقتضي زيادة في المعنى، فلمّا زاد في وقت التدمير والعذاب زاد في النخل المقتلع، ولا شك أن طول المدة يقتضي تدميرًا أكثر، فالريح تقتلع وتدمر في أيام أكثر مما تفعله في يوم، وهذا ما دلّ على الزيادة في سورة الحاقة.

كلّ هذا توضيحه للسياق حتى يُبين مدى تعلّقه بالمعنى، لينتقل فيما بعد بشرح المعنى للصفتين الواردتين في الآيتين، حيث يقول إن: "النخل المنقعر معناه المنخلع عن مغارسه

الساقط على الأرض، (...) والخواوية أكثر من المنقعر، فأنتها فزادت كثرة ومبالغة، لأنّ التأنيث قد يأتي للكثرة والمبالغة، كما وضع النخل الكثير المدمر مع الريح المتصفة بزيادة التدمير وهي صفة العتو، بالإضافة إلى زيادة وقت التدمير، ووضعه مع استئصال القوم فلم ينج منهم أحد".¹

وجاءت توجيهات أخرى حيث نجد أنّ الزمخشري يقول في ذلك: "منقعر" وهي منقلع عن مغارسه، وقال أنّهم شبّهوا بأعجاز النخل لأنّ الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى أجساد بلا رؤوس، وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانتهى، كما قال أعجاز نخلٍ خاوية"²

وورد في تفسير الرازي للآية الأولى: "أي كأنهم أصول نخلٍ خالية الأجواف لاشيء فيها وقال النخل يُؤنث ويُذكَر (...)", وأمّا وصف النخل بالخواء، فيحتمل أن يكون وصفاً للقوم أو تكون خالية بمعنى البالية لأنّها بليت خلت أجوافها".³

ويرى ابن عاشور في توجيهه لوصف النخل بأنّها "خاوية في الآية الأولى هو باعتبار إطلاق اسم (النخل) على مكانه بتأويل الجنة أو الحديقة، والمعنى خالية من الناس وهذا للتشويه للمشبّه به بتشويه مكانه، ولا أثر له في المشابهة وأحسنه ما كان فيه مناسبة للغرض من التشبيه، فإنّ لهذا الوصف وقعاً في التنفير من حالتهم ليناسب الموعظة والتحذير من الوقوع في مثل أسبابها".⁴

وفي جملة هذه التوجيهات نلاحظ أنّ السامرائي قد تميز عنهم في كونه التفتت إلى السياق وأولاه من الشرح والإطناب ما لم يكن عند سابقه، فقد استخرج من السياق صفة الريح التي ربطها بصفة النخل، كما استخرج أيضاً مدّة الريح وزمنه في كلا الآيتين وجعل مدة الريح سبباً صفة الريح، كما استنتج من خلالهما عدد النخل بصيغة التفضيل (أكثر)، لينتج في الأخير ومن خلال هذه السياقات أنّ جميعها تسبّب في هذا الاختلاف للصفتين بين التذكير والتأنيث بأنّه جاء التأنيث لتبيين الزيادة والكثرة، والتذكير للقلّة.

¹ ينظر: بلاغة الكلمة، السامرائي، ص 87.

² الكشاف، الزمخشري، ص 436.

³ مفاتيح الغيب، الرازي، ص 622.

⁴ التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص: 119.

المبحث الثالث: قضية تعاور المفردات

المطلب الأول: التعاور بين مفردتي "انبجست" و "انفجرت"

المطلب الثاني: التعاور بين مفردتي "الطور" و "الجبل"

المطلب الثالث: التعاور بين مفردتي "العاكفين" و
"القائمين"

المبحث الثالث: قضية تعاور المفردات:

إنّ ظاهرة "تعاور المفردات" ظاهرة جلية في القرآن الكريم، ويتضح ذلك في دقة اختيار التراكيب والألفاظ وحُسن السبك وهذا ما لفت نظر الكثير من البلاغين الذين حاولوا الوقوف على هذه الظاهرة الجمالية وما يزيد بها من رونق وبهاء، ومن بين الذين اهتموا وحاولوا اكتشاف واستخراج هذه الظاهرة من القرآن الكريم نجدُ فاضل السامرائي؛ والذي بدوره حاول تبیین سر تعاور الألفاظ في التعبير القرآني، إذ أن هناك الكثير من الآيات التي تتشابه مع آيات أخرى إلى حد كبير وخاصة في القصة الواحدة والموقف الواحد، وقد برز دور السياق بجميع أنواعه في إعطاء تفسير لهذا التعاور.

ويعد هذا الأخير في السياق القرآني دليلاً إجازياً، لغوياً وبلاغياً، ولا بد من الوقوف على مفهومه اللغوي والاصطلاحي.

أولاً: المفهوم اللغوي:

فالتعاور عند ابن فارس (عَوَرَ): "العين والواو والراء أصلان أحدهما يدل على تداول الشيء، والآخر يدل على مرض في إحدى عيني الإنسان وكل ذي عينين. ومعناه الخلو من النظر. ثم يحمل عليه ويشتق منه"¹. وجاء في لسان العرب أن "المعاورة والتعاور: شبه المدولة والتداول في الشيء يكون بين الاثنين (...). ومعنى تعاورت الرياح رسم الدار؛ أي تداولته والتعاور عام في كل شيء"².

ونستنتج من خلال التعريفات السابقة أن "التعاور" يكون في كل الأشياء وهو "التداول"، ومما لا شك فيه أن المعنى اللغوي يخدم المعنى الاصطلاحي وهذا ما سيتبين لاحقاً.

ثانياً: المفهوم الاصطلاحي:

و"تعاور المفردات في التعبير القرآني عند فاضل السامرائي هو "أن تستعمل مفردة في موطن وتستعمل غيرها في موطن آخر شبيه به، بل في القصة الواحدة قد تستعمل مفردة في موضع وتستعمل غيرها في موضع آخر مع أن القصة واحدة والموقف واحد"³.

ومن خلال النظر والتأمل فيمكن تعريف التعاور وبصورة أقرب أنه حُسُنُ التوظيف والاستعمال للكلمة ومدى تداولها في السياقات القرآنية المناسبة لها.

• بعض المواضع التي ورد فيها "التعاور" بين المفردات في القرآن الكريم:

¹ مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام. جذر (عور).

² ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 4 ص 618، 619.

³ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ط 2، شركة العاتك، القاهرة، مصر، 2006،

لقد ورد في القرآن الكريم لهذا المسلك الجمالي بين المفردتين عدة توجيهات، وهذا ما نحاول إبرازه في المواضع التالية:

المطلب الأول: التعاور بين مفردتي " وانفجرت " انبجست "

1. الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة:60]

2. الموضع الثاني: وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف:160]

فنلاحظ أنه عبر بـ "انفجرت" في البقرة وبـ "انبجست" في الأعراف مع أن القصة واحدة، ومدار المسألة حول اختلاف المفردتين، فقد وجهها فاضل السامرائي مستنداً إلى سياق كل واحدة منهما والمقام الذي وردت فيه. حيث رأى أن الخطاب في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ [البقرة:60]

ذكر فيه الشرب والأكل فناسب ذلك ذكر الانفجار بالماء، بينما في الأعراف لم يرد ذلك، وأنه كذلك أسند القول إلى نفسه في الأولى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة:58]

وأما الثانية بنى القول فيها للمجهول في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ [الأعراف:16]

فكان إسناد قوله إلى نفسه في مقام التكريم والتشريف بخلاف المبني للمجهول، فناسب المقام الأول ذكر الانفجار بالماء والمقام الثاني بالاننجاس.

والقصة في البقرة وردت في مقام تعدد النعم على بني إسرائيل ومقام تكريمهم بذكره للفظ (الانفجار)، بينما في الأعراف مقام تقريع وتأييب على ما فعلوه وارتكبه من مآثم بلفظة (الاننجاس).¹

وقد وضح السامرائي في كتابه التعبير القرآني " أن في البقرة قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ﴾ [البقرة:60] وأما في الأعراف قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ﴾ [الأعراف:160]. فإن القول المباشر من الله أكمل وأشرف من الإيحاء"²

فالفرق بين "الانفجار والاننجاس، فإن الانفجار للماء الكثير، والاننجاس للماء القليل. وكل تعبير يناسب موطنه. فإنه المقام في سورة البقرة مقام تعدد النعم كما ذكرنا. هذا من ناحية

¹ ينظر: بلاغة الكلمة، فاضل صالح السامرائي، ص110.

² التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، مصورات مكتبة الصدوق، دط، ص322.

ومن ناحية ثانية: أن سيدنا (موسى) هو الذي استسقى ربه فناسب إجابته بانفجار الماء. ومن ناحية ثالثة: أن الله قال لموسى: اضرب بعصاك الحجر ولم يوح إليه وحياً، فناسب ذلك انفجار الماء الكثير الغزير، بخلاف ما ورد في سورة الأعراف فجاء بالانبجاس. والله أعلم.¹

"وقيل أن الماء أول ما انفجر كان كثيراً ثم قلَّ بعصيانهم، فعبر في مقام المدح بالانفجار وفي مقام الذم بالانبجاس".²

وذكر الرازي في توجيهه للمفردتين في كتابه مفاتيح الغيب أن "الفرق بين الانفجار والانبجاس واضح لأن بينهما تناقض، فالانفجار خروج الماء بكثرة والانبجاس خروجه قليلاً، وحمل الاختلاف بين الآيتين على أوجه وهي: أن الانفجار هو الشق في أصل الشيء وأما الانبجاس هو الشق الضيق. ومنه فإنه يحتمل أن الماء انبجس قليلاً أولاً ثم كثر وانفجر ثانياً، وكذا العيون يظهر منها الماء قليلاً ثم يكثر لدوام خروجه".³

ويرى الكرمانى أن الانبجاس هو ظهور الماء دون الانفجار وهذا الأخير يعني أنصاب الماء بكثرة وهذا ما جاء به بعدها في قوله تعالى ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ وأما في الأعراف قال: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فليس فيها "واشربوا" ففي الأولى لفظ يبلغ (الانفجار) وفي الثانية لم يبلغ فيه والله أعلم.⁴

وجاء في ملاك التأويل للغرناطي توجهاً آخر للمفردتين يقول "مع أن المعنى واحد بمعنى الانبجاس الانفجار، غير أن الفعلين وإن اجتمعا في المعنى فليس على حد سواء، بل الانبجاس ابتداء الانفجار و الانفجار بعدة غاية له والله أعلم".⁵

وأما عن ابن عطية قال: "انبجست انفجرت لكنه أخف من الانفجار؛ ذلك أن الواقع في الأعراف طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام، السقيا في قوله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ [الأعراف: 160]. والوارد في البقرة طلب موسى عليه السلام من ربه في قوله تعالى ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ [البقرة: 60] فطلبهم ابتداء فناسبه الابتداء. وطلب

¹ المرجع نفسه، ص322.

² التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص323.

³ مفاتيح الغيب، الرازي، ص103.

⁴ ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، الكرمانى، تح: عبد القادر أحمد عطا، بيروت. لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1986، ص30.

⁵ ملاك التأويل، الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ب، 1971، ص40.

موسى عليه السلام غاية لطلبهم فناسبه الابتداء (...). فجواب لطلبهم فانبجست وإجابة لطلبه فانفجرت".¹

نستنتج من تفسير فاضل صالح السامرائي وتوجيهه لمفردتي "انفجرت" و"انبجست" أنه كان عميقاً ودقيقاً فقد حاول أن يبين لنا مقام كل مفردة وذلك بموجب السياق التي وردت فيه، ومن خلال موازنته للآيتين قال إن لفظة "انفجرت" جاءت في مقام مدح من تكريم وتشريف، وهي دلالة على أن العيون بدأت بها وذلك لقوة الماء واشتداده، وهذه القوة للمياه صورة لنعيم الله على بني إسرائيل قبل عصيانهم، وأما لفظة "انبجست" فجاءت في مقام ذم وتقريع وتأنيب وذلك لقلة الماء بمعاصيهم، وبهذه القلة يصور لنا عقابه لهم.

المطلب الثاني: التعاور بين مفردتي "الطور" و "الجبل":

الموضع الأول: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 63]
 الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُم الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: 154]
 الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 181]

من خلال الملاحظة نجد أنه سبحانه قد استعمل لفظة "الطور" في كل من سورتي البقرة والنساء، بينما جاء بلفظة "الجبل" في سورة الأعراف، بالإضافة إلى أن الخطاب في الآية الأولى موجه لبني إسرائيل، بأنه عندما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل على رؤوسهم ليؤروا بما عوهدوا عليه، بينما في الآية الثانية والثالثة فهو ليس موجه لبني إسرائيل وإنما يتحدث عنهم في ذات القصة.

نظر السامرائي في معاني لفظة "الجبل" فوجد فيما جاء عن ابن منظور أنه اسم لما طال وعظم من أوتاد الأرض، فربط هذا المعنى بسياق الآية في سورة الأعراف بأن التهديد كان أشد مما جاء في سورتي البقرة والنساء، فلما كان الجبل في معناه يحمل الشدة والقوة وهو أعظم من "الطور"، لذلك جيء به "الجبل" في مقام الشدة والهول وبيان المقدرّة العظيمة، وللاستدلال أضاف السامرائي أنه سبحانه قد استعمل لفظة "الجبل" في آية أخرى (قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) [الأعراف: 143]، فجاء بلفظة الجبل هنا للدلالة على عظم الموقف والتجلي. ثم يضيف السامرائي عمًا سبق كل من اللفظتين في الموضعين، فقد سبق الجبل لفظة "نتقنا"،

¹ ملاك التأويل، الغرناطي، ص40.

وسبق الطور لفظة "رفعنا"، فقد جاء في لسان العرب لمعنى "النتق" بأنه الجذب والرّعة، وهو أن يقتلع الشيء فيرفعه من مكانه ليرمي به (لسان العرب* جذر نَتَقَ)، فالنتق إذاً يزيد عن الرفع بالافتلاع أولاً، فلمّا كان له من ميزة القوة "الجبل" ناسبه بلفظة "النتق"، على غرار "الطور" الذي هو أخفّ في معناه من الجبل فناسبه بلفظة أخفّ من النتق "الرفع".

ونجد توجيهات أخرى غير توجيه السامرائي لهذا التعاور، منها ما ذهب إليه أبو جعفر، حيث يرى أنّ "الطور هو الجبل في كلام العرب، وقيل إنّه اسم جبل بعينه وذكر أنّه الجبل الذي ناجى الله عليه سيدنا موسى عليه السلام، وقيل أنّه من الجبال من أنبت دون ما لم ينبت"¹

أمّا عن بعض المفسرين أمثال (ابن عبّاس والمجاهد وقتادة وابن العالية وعكرمة) فقد فسّروا الطور بأنّه الجبل ولا فرق بينهما،² وهناك من أضاف أنّ "الجبل بالسريانية هو الطور وهذا على وجه أنّه ما من لغة في الدُّنيا إلّا وهي في القرآن"³ ومن خلال اطلاعنا على العديد من التفاسير كمفاتيح الغيب للرازي، وتفسير البغوي وغيرهما نجد أنها تصبُّ كلّها في معنى واحد وهو أنّ "الطور" هو "الجبل" بحد ذاته وهو اسم فقط.

نستنتج مما ذكره السامرائي أنّه أتى بلمسةٍ جديدةٍ تميز بها عن غيره، وذلك بتحدده مقام اللفظتين وبينهما في كلا الموضعين، حيث قال إنّ "الجبل" يحمل معنى أقوى مما يحمله "الطور" فعبر به في مقام التجلي والتهديد؛ ولأنّ في الأعراف أفاض في ذكر صفات بني إسرائيل الذميمة ومعاصيهم فناسب ذلك التعبير باللفظة الأقوى (الجبل)، بينما في سورتى البقرة والنساء لم يُفرض في الصفات فاقتضى أن يجيء بلفظة (الطور).

المطلب الثالث: التعاور بين مفردتي "العاكفين" و "القائمين"

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة:125].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج:26].

¹ جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، تح: محمود محمد شاكر، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ط ج2، ص 157، 158.

² جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، ص168.

³ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، دار التفسير، ط1. 2015، ج3، ص361.

من الملاحظ على الآيتين هنا اختلاف توظيف المفردتين، ففي الموضع الأول الوارد في سورة البقرة "العاكفين"، والموضع الثاني في سورة الحج وردت بـ "القائمين"، فما هو سر هذا الاختلاف؟

وللإجابة على هذا التساؤل حاول السامرائي طرح توجيه لهذا "التعاور" فنظر فيما جاء به المفسرين الأوائل، واستزاد بمعاني المفردات التي تطرحها المعاجم العربية، فوجد أن الجمهور من المفسرين قد ذهب إلى أن: "العاكفون هم أهل البلد الحرام المقيمون، وقيل هم المجاورون له من الغرباء وهم الذين عكفوا عنده، أي أقاموا ولا يبرحون، وقيل هم المعتكفون فيه".¹

هذا فيما وجده عن مفردة "العاكفين"، و فيما ذهب إليه من توجيه لمفردة "القائمين"؛ "هم المصلون ذكر من أركانها أعظمها وهو القيام والركوع والسجود، وجاء في روح المعاني أن التعبير عن الصلاة بأركانها من القيام والركوع والسجود للدلالة على أن كل واحدة منها مستقل باقتضاء التطهير أو التبرئة على ما قيل".²

وما جاء في لسان العرب من شرح لمفردة "العاكفين": "عكف على الشيء أقبل عليه مواظبًا لا يصرف وجهه عنه، ومنه أقام (...) ويقال لمن لازم المسجد وأقام على العبادة فيه عاكف ومعتكف"³ ويضيف ابن منظور في شرحه لمعنى مفردة "القائمين" أن: "معنى القيام العزم (...) والقائم بالدين المتمسك به الثابت عليه".⁴

وأضاف السامرائي بعد اطلاعه على ما جاء في التفسير أن "العاكفين" (هم أهل البلد الحرام المقيمون) يُقصد بها ذرية سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فساكن البلد الحرام اختص منهم ذرية سيدنا إبراهيم وإسماعيل، واستدلّ بهذه الإضافة ما جاء بعد آية البقرة المذكورة في الموضع الأول (الآية 126، 127، 128، 129).

أمّا عن مفردة "القائمين" الواردة في سورة الحج فقد وجّهها السامرائي بالآية التي قبلها (...وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ...)، حيث جعل الله تعالى العاكف في المسجد الحرام وغيره سواء، فلم يناسب ذلك تخصيص "العاكفين" في الآية التي بعدها بل قال تعالى (والقائمين) وهي تشمل العاكفين وغيرهم.

¹ بلاغة الكلمة، السامرائي، ص122

² بلاغة الكلمة، ينظر السامرائي، ص122. وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، شهاب الدين السيد محمود الألوسي، إدارة الطباعة المنيرة، دار إحياء التراث العربي، ج17، ص143.

³ لسان العرب، ابن منظور، جذر (ق و م)، مج 15، ص 403 / 398.

⁴ المرجع نفسه، جذر (ع ك ف)، مج 11، ص 161.

وقد أكد السامرائي على توجيهه بأنَّ الله قد ذكر في الآية التي بعدها فريضة الحج والحجاج الذين يأتونه من كل فج عميق ولم يذكر أهل البلد الحرام وسكانه.¹

ويرى الكرمانى في توجيهه للآيتين أن: ذكر "القائمين" في الحج، بينما سبق بذكر "العاكفين" في البقرة وحقه أن يذكر في الحج ما ذكره في البقرة، غير أن سبب المخالفة في الحج أنه ذكر العاكف قبل هذه الآية (26) في قوله {سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ} (الآية 25)، فلما تقدّم ذكرهم عبّر عنهم بعبارة أخرى² وعلى ما يبدو أن الكرمانى قد وجّهها على أنّهما يحملان معنى واحد، إلا أن التعاور جاء فقط لمخالفة التعبير وتجنّب التكرار.

وتوقف أبو جعفر عند المعنى اللغوي لتوظيف مفردة "العاكفين" فقط، فيقول: "والعاكف على الشيء وهو المقيم عليه، وإنما قيل للمعتكف من أجل مقامه في الموضع الذي حبس فيه نفسه لله تعالى، وقد اختلف أهل التأويل في من عني بقوله (العاكفين) فقال بعضهم عني به الجالس في البيت الحرام بغير طواف ولا صلاة"³.

كذلك يرى ابن عطاء أن "من كان طائفاً بالبيت فهو من الطائفين، ومن كان جالساً فهو من العاكفين، وقال بعضهم (العاكفون) هم المعتكفون المجاورون، وقال بعضهم هم أهل البلد الحرام"⁴.

وفي الأخير نستخلص من خلال ما جاء عند فاضل السامرائي، نجد أنه قد دقق في لفظة "العاكفين" التي جاءت في سورة البقرة، فجاءت في هذا السياق دالة على ذرية سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام، وسكان البلد الحرام ومجاوريهما، أمّا في توجيهه لتوظيف مفردة "القائمين" الواردة في سورة الحج، جاءت للدلالة على الحجاج الذين يأتون لأداء فريضة الحج، والذين يرجعون لأهاليهم ومواطنهم بعد قضائها، وما يؤكد هذا المعنى هو ما جاء في الآيات التي بعدها من 27 إلى 29 من سورة الحج، إلا أنها جاءت في هذا السياق تشمل العاكفين وغيرهم (المقيمين وغير المقيمين)، فالحج للناس عموماً ودليل ذلك في الآية 25.

¹ ينظر: بلاغة الكلمة، السامرائي، ص 124.

² البرهان في توجيهه متشابه القرآن، الكرمانى، ص: 133.

³ جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري، ص41.

⁴ المرجع السابق، ص:42.

خاتمة

خاتمة:

وبعد الرحلة العطرة الطيبة التي حاولت فيها التقرب من أهم القضايا اللغوية التي تطرق إليها فاضل صالح السامرائي، والتي ترسل لنا اشراقات نورانية بلمساته البيانية البلاغية في التعبير القرآني للكلمة، ولتؤتي هذه الرحلة بحصاد وفير وكنوز أضاءت هذا البحث المبارك والذي من خلاله توصلنا إلى النتائج التالية:

1. من آياته أنه استعان بالسياق والمقام في الوصول إلى أعماق الدلالة وفي تبيان المقاصد والمعاني.
2. من آياته أنه اتبع المنهج العلمي في التفسير البياني (الدقة، الوضوح، الموازنة، استخدام الحجج الدامغة والبراهين القاطعة في الإقناع)
3. في جُلِّ قضاياها انفراد بتوجيه خاص.
4. الكشف عن بعض الجماليات الفنية للنص القرآني من خلال التأمل والنظر.
5. استعماله للأسلوب العقلي والوجداني في عرضه للمسائل البلاغية وذلك من خلال موازناته بين النصوص القرآنية.
6. تنوع المصادر والمراجع في كتابه تدل على مدى إطلاعه وإحاطته بالقضايا اللغوية في القرآن الكريم.
7. ما يصطلح عند علماء اللغة بالمتشابه اللفظي، أطلق عليه السامرائي بتعاور المفردات.
8. بدا لي أن ظاهرة الذكر والحذف لا تكون إلا لغرض بلاغي أو سر بياني يحدده المقام، ذلك لأنها تمس أهم مستويات اللغة (الصوتي، النحوي).
9. جل كتب التفاسير لا تميز بين المفردتين في ظاهرة التعاور، وإنما تهتم بالشرح العام إلا فاضل السامرائي يفرق بين المفردتين مستندا على السياق.
10. الاستعانة بالمعنى المعجمي واللغوي في قضية التعاور للتفريق بين المفردتين.
11. بدا لي من خلال العدد الذي جاء به فاضل السامرائي في ظاهرة الوصف أن خدمة الظاهرة تحتاج في توجيهها إلى الاستناد على جميع مستويات اللغة، وكون الموجه محيطا بها.

والحمد لله حمداً كثيراً لا انقطاع له، الذي بنعمته تتم الصالحات وتذلل بمنته الصعوبات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بُعث للناس رحمة مهداة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم رواية ورش

المصادر والمراجع:

المعاجم والقواميس

1. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، (1430/2009).
2. الصحاح في اللغة والعلوم، الجوهري، د.تح، د.ط.
3. لسان العرب، ابن منظور، تح: أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج:11، ط1، (2001).
4. معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيحة، القاهرة.
5. معجم لسان العرب، ابن منظور، دار صاد، بيروت، لبنان، 1965، ط 3.

الكتب العربية

1. البرهان في توجيه متشابه القرآن، الكرمانلي، تح: عبد القادر أحمد عطاء، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1986.
2. البلاغة العربية، بن عيسى باطاهر، د.تح، دار الكتاب، بنغازي، ليبيا، ط1، 2008.
3. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ط 2، شركة العاتك، القاهرة، مصر، 2006.
4. التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1884، ج1.
5. التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، مصورات مكتبة الصدوق، د.ط.
6. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار ابن باديس، الجزائر، مج 3، دط.
7. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوجيه، ط1، 1981، ج30.
8. جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، تح: محمود محمد شاكر، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ط ج2.
9. الجهود التفسيرية للدكتور فاضل السامرائي دراسة تحليلية، عبد القدوس رحمن حميد حسن الأركي، مكتب مرمر، بغداد، ط1، 2019.
10. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد الهاشمي، مطبعة السعادة مصر 1965، د.ط، ج1.

قائمة المصادر والمراجع

11. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، شهاب الدين السيد محمود الألوسي، إدارة الطباعة المنيرة، دار إحياء التراث العربي، ج17.
12. القواعد الأساسية للغة العربية، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1354).
13. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب، ط3، ج2.
14. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ج9.
15. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، دار التفسير، ط1. 2015، ج3.
16. مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، 1979، ج2.
17. ملاك التأويل، الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1971.

المواقع الإلكترونية

1. سيرة عالم للدكتور فاضل صالح السامرائي، ديوان الوقف السني "تحقيقات و تقارير"، <http://sunniaffairs.gov.iq>، 03 /01 /2023.
2. الطاهر عبد الفتاح الطويل، www.arabia.com، 2019.08.22.
3. محمد علي بن حسين المالكي، www.afaqattaiseer.net، 12 نوفمبر 2008، 10:20 صباحًا.
4. عبد القاهر الجرجاني، <https://oumustansiriyah.edu.iq>، 2020.03.02.
5. ملامح من حياة العالم اللغوي فاضل صالح السامرائي: شاذلي عبد الغني اسماعيل، <https://www.alukah.net>، 06:30/01/19، 2023.
6. من الإلحاد إلى الإيمان، قصة الدكتور فاضل صالح السامرائي مع البعوضة، عبد الحميد عمران <http://www.ebnmarayam.com>، 23.11.2017، 07:19.
7. نبذة عن فاضل السامرائي، محمد شورديب، <https://sotor.com>، 9:04، 23 يوليو 2019.



فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	المواضيع
أ، ب، ج، د	مقدمة
6	تمهيد
13	قراءة عن بعض القضايا اللغوية في كتاب بلاغة الكلمة في التعبير القرآني
16	المبحث الأول: قضية الذكر و الحذف
19	المطلب الأول: الذكر و الحذف في الحروف
21	المطلب الثاني: الذكر و الحذف في الضمائر
23	المطلب الثالث: الذكر و الحذف في الأصوات
25	المبحث الثاني: قضية الوصف
27	المطلب الأول: وصف الزيتون و الرمان
29	المطلب الثاني: وصف النخل
31	المبحث الثالث: تعاور المفردات
33	المطلب الأول: التعاور بين مفردتي "انبحست" و "انفجرت"
36	المطلب الثاني: التعاور بين مفردتي "الطور" و "الجبل"
38	المطلب الثالث: التعاور بين مفردتي "العاكفين" و "القائمين"
42	خاتمة
45	قائمة المصادر و المراجع

